آيات الفزع في القرآن الكريم
دراسة تحليلية موضوعية

إعداد: د. سميرة بنت محمد جالية

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد الله المرجو لطفه وثوابه، المخوف مكره وعقابه، الذي عمر قلوب أوليائه بصدق التوكل عليه وطاعته، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد أنبيائه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، **أما بعد:**

فالفزع من الحالات التي تعتري الإنسان إذا تعرض لموقف مفاجئ، والسياق القرآني للفزع قرينة على أنه يستعمل في أشدِّ مواطن الخوف، وما فارق المألوف والمعتاد من الأحداث والانفعالات المضطربة المصاحبة له.

فالفزع إذن: أشدُّ الخوف، وفيه مفاجأة، ويصحبه اضطراب ظاهر، في المواقف غير المعتادة التي قد تتحول إلى حالات مرضية قد يطول علاجها، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فيكون في يوم القيامة من المشاهد، والمواقف، والأهوال ما هو كاف للفزع، والخوف، حتى لو كان قد بُشِّر من قبل بالنجاة، حيث يتغير نظام الكون بشكل لم

يألفه الإنسان، فتدنو الشمس من الخلائق قدر ميل، وتبدل الأرض غير الأرض، وتطوى السماوات كطي السجل للكتب، وُيؤتى بالنار ولها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، إلى غير ذلك من المشاهد المفزعة، وقد أشار- سبحانه- إلى شدة الهول في ذلك اليوم، فقال: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [سورة الحج: ٢].

ولهذا فلا غرابة - والحال هذه - أن يكون المؤمن الذي بُشر بالجنة خائفاً، وَجِلاً في الموقف، بل الأنبياء، والمرسلون الذين هم في ظل عرش الرحمن يوم القيامة، يفزع الناس إليهم ليطلبوا من الله - تعالى- فصل القضاء، فكل منهم يقول: «**نفسي، نفسي**» كما ورد ذلك في حديث الشفاعة، من رواية أبي هريرة ﷺ مرفوعاً[(١)].

ولما كان هذا الموضوع من الأهمية بمكانٍ، قمت بجمع الآيات التي تحدثت عن الفزع في القرآن الكريم؛ لدراستها والإفادة منها في تحقيق الأمن النفسي والطمأنينة القلبية، لا سيما في زماننا هذا الذي نحن بأمس الحاجة إلى تحقيق الأمن والسكينة فيه، حيث كثرت دواعي الفزع وصنَّاعه، فنجد الإعلام يثير الفزع بما يحمله من أخبار وقصص ومناظر تنشر من خلاله، وكأن الناس ليس عندهم شعور ولا إحساس، فهؤلاء مسلمون يقتلون ويصلبون ويعدمون، ودماء تسيل، وأشلاء تقطع، وهذا ليس

---

(١) رواه البخاري (٣٣٤٠) (١٣٤/٤) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾[سورة نوح: ١]؛ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه= صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة، ومسلم (١٩٤) (١٨٤/١) كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها؛ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

من قبيل الأخبار، بل هو من قبيل إشاعة الفزع والخوف في نفوس الناس، مما ينتج عنه إمراض الأمة والقعود بها عن رسالتها التي من أجلها خلقت.

وتمتد تلك الحاجة إلى يوم القيامة حيث يشتد الفزع، فصنف من عباد الله لا يفزعون عندما يفزع الناس، ولا يحزنون عندما يحزن الناس، أولئك هم أولياء الرحمن الذين آمنوا بالله وعملوا بطاعته؛ استعداداً لذلك اليوم، فيؤمنهم الله في ذلك اليوم، وعندما يبعثون من القبور تستقبلهم ملائكة الرحمن، تهدئ من روعهم وتطمئن قلوبهم؛ قال – تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة الأنبياء: ١٠١ – ١٠٣].

ويهدف البحث إلى غرس روح التوكل على الله، وصدق اللجوء إليه، والاستعداد بالعمل الصالح؛ لتحقيق الأمن يوم الفزع الأكبر، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة الشعراء: ٨٨ – ٨٩].

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

فالمقدمة تشتمل على أهمية الموضوع، وهدفه، وسبب اختياره.

و**التمهيد** يشتمل على، تعريف الفزع، والفرق بين الفزع والألفاظ المقاربة له.

والمبحث الأول: يتحدث عن فزع الملائكة.

والمبحث الثاني: يتناول فزع البشر.

والمبحث الثالث: علاج وتسكين الفزع.

والمبحث الرابع: الفزع في الآخرة.

ثم **الخاتمة**، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع

والله أسأله التوفيق والسداد، وأن ينفع به، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، إنه نعم المولى ونعم النصير.

التمهيد

معنى الفزع والألفاظ ذات الصلة

أولاً: معنى الفزع:

الفزع لغة: الفَرَقَ والذّعر من الشيء[(١)]، وهو في الأصل مصدر: فَزِع فَزعاً وأفزعه، وفَزعه: أخافه وروعه، فهو فَزِع[(٢)].

ويأتي الفَزَعُ بمعنى: الاستغاثة، والإغاثة [(٣)]، يُقَالُ: فزِعْتُ إليه فأَفْزَعَني. أَي: اسْتَغَثْتُ إليه فأَغاثني، وَهُوَ مِنَ الأَضداد، أَفْزَعْتُه إِذا أَغَثْتَه، وأَفْزَعْتُه إِذا خَوَّفْتَه [(٤)].

وَفُزِّعَ عنه، أي: كُشِفَ عنه الخوف[(٥)].

وقال المبَرِّد في الكامل: أصل الفَزَع: الخوف، ثم كُني به عن خروج الناس بسرعة، لدفع عدو ونحوه إذا جاءهم بغتة، وصار حقيقة فيه[(٦)].

والفَزَعُ اصطلاحاً: انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف، وهو من جنس الجزع، ولا يقال: فَزِعْتُ من الله، كما يقال: خفت منه، وقوله – تعالى–: ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٣]، فهو الفزع من دخول النار[(٧)].

---

(١) ينظر: «تاج العروس من جواهر القاموس» محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية، بدون طبعة وبدون تاريخ (٢١/٤٩٦).

(٢) ينظر: «لسان العرب» محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، ابن منظور، دار صادر، بيروت بدون طبعة وبدون تاريخ (٨/٢٥١).

(٣) ينظر: «تاج العروس» (٢١/٤٩٧).

(٤) ينظر: «لسان العرب» (٨/٢٥٣).

(٥) ينظر: السابق (٨/٢٥١).

(٦) ينظر: «تاج العروس» (٢١/٤٩٦).

(٧) «المفردات في غريب القرآن» أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ (ص٦٣٥).

ويتبين مما سبق: أن الفزع يختص بالناس فيما هو ظاهر أمامهم، وفيما هو يحمل عنصر المفاجئة؛ لذلك لا نستخدم لفظ الفزع مع الله- سبحانه وتعالى-، فلا نقول فزعت من الله، بل نقول: خِفتُ من الله؛ لأن الخوف من الله لا يقابله ولا يساويه خوف.

ثانيا: الفرق بين الفزع والألفاظ المقاربة له:

في القرآن الكريم جملة من الألفاظ تدل على حالة نفسية تعتري الإنسان؛ منها: الخشية، الخوف، الفزع، الرعب، الرهبة، الوجل، وسوف أتتبع هذه الألفاظ بذكر معانيها واستنباط الفرق بينها.

الخشية: خوف يَشُوبه تعظيمٌ، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخْشَى منه [(١)].

وحقيقة الخشية: الخوف الباعث على الامتثال والانقياد والإيمان والعمل الصالح[(٢)]؛ ولهذا اقترنت بالعلم والخشية في الأغلب تقترن بالعلم، قال - تعالى-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

الخوف: توقُّع مكروهٍ عن أمارة مظنونة، أو معلومة، كما أنّ الرّجاء والطمع توقّع محبوب عن أمارة مظنونة، أو معلومة، ويضادّ الخوف الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية[(٣)].

---

(١) «المفردات في غريب القرآن» للأصفهاني (ص ٢٨٣).

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ (١/١٥٥)، والبحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت (٧/٣١١)، والتحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، ١٩٨٤م، ط الدار التونسية للنشر، تونس (١/٥٦٥).

(٣) «المفردات في غريب القرآن» للأصفهاني (ص ٣٠٣).

والخوف خاصة من خواص النفس، والخوف لما يستقبل، والحزن لما فات[1].

الرُّعْبُ: الانقطاع من امتلاء الخوف، ولتصوّر الامتلاء منه قيل: رَعَبْتُ الحوض: ملأته، وسيل رَاعِبٌ: يملأ الوادي[2]، فكأنَّ المرعوب ممتلئ بالخوف.

فاستعمل الرعب في الخوف الشديد الخارق للمعتاد الذى يملأ القلوب، ومنه قوله - تعالى-: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٥١]، وقوله - جل وعلا-: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف: ١٨] .

والرهبة: الخوف والفزع، يقال: أَرْهَبَه ورَهَّبَه واستَرْهَبَه: أَخافَه وفَزَّعه، ومنه «الراهب»؛ لطول ملازمته الخوفَ، وأصله من الرَّهْبِ، وهو الجمل الذى أصابه الهزال والإنهاك من طول الأسفار[3].

وعلى ذلك فالرهبة هي: خوف شديد يصحبه اضطراب وضعف، قال- تعالى-: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال - جل وعلا-: ﴿ قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾[الأعراف: ١١٦].

---

(١) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م (ص٢٧٩).

(٢) ينظر: «المفردات في غريب القرآن» للأصفهاني (ص ٣٥٦).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، دار الجيل، بيروت (٤٤٧/٢)، و«لسان العرب» (٤٣٨/١).

والرَّوْع: الروع والرواع والتروع: الفزع، وأَفْرِخْ رُوعَك، أَي: اسْكُن وأْمَنْ، والرُّوع: مَوْضِعُ الرَّوْع وَهُوَ الْقَلْبُ[(١)].

الرَّوْعُ في الاستعمال القرآني: خوفٌ مصحوبٌ بإنكار وقلق؛ قال – تعالى–: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ [هود: ٧٤].

والفَرَق: تَفَرُّقُ القلب من الخوف، واستعمال الفرق فيه كاستعمال الصّدع والشّقّ فيه[(٢)]؛ فالفَرَق إذن: أشَدُّ الخوف، وفيه جُبن واضطراب شديد؛ قال – تعالى–: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [التوبة: ٥٦].

والوَجَل: استشعار الخوف، يقال: وَجِلَ يَوْجَلُ وَجَلاً، فهو وَجِلٌ، قال – تعالى–: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢][(٣)]، ولم يفرّق المفسِّرون بين الوجل والفزع، ومن ذلك قول الزمخشري في تفسير هذه الآية ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ قال: فزعت[(٤)].

وعن أمِّ الدرداء– رضي الله عنها–: الوجل في القلب كاحتراق السعفة، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى. قالت: فادْعُ اللهَ فإنَّ الدعاء يذهبه. يعني: فزعتْ لذكره استعظامًا له وتهيبًا من جلاله وعزّة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه[(٥)]، ومثل ذلك عبارة أبي حيان في البحر المحيط، وأورد كلاهما قراءتين للآية: {فَزِعَتْ} وهى قراءة أُبيّ،

(١) ينظر: «لسان العرب» (١٣٥/٨).

(٢)«المفردات في غريب القرآن» للأصفهاني (ص ٦٣٤).

(٣) السابق (ص٨٥٥).

(٤) الكشاف، للزمخشري (١٩٥/٢).

(٥) السابق (١٩٥/٢).

و{فَرِقَتْ} وهي قراءة عبد الله بن مسعود، وهاتان قراءتان شاذتان تُحْمَلَان على التفسير(١).

لكن المتأمِّل للآية يجد أن كلمة {وجلت} استُعملت هنا لتعبِّر عن خوف وتعظيم يُدَاخِلُ القلبَ، ولا يظهر ذلك على البدن، فليس فيه اضطراب كالذي يصاحب الفزع، بل الوجل أقرب إلى السكون، وعلى هذا يكون الوجل: خوفًا يصاحبه تعظيم وإجلال، ولا تظهر آثاره على البدن.

هكذا تتقارب معاني تلك الألفاظ وتتداخل، فالخشية والرهبة متقاربان إلى حَدٍّ قريب مِنَ الترادف التام، وَالخوف والفزع والوجل مترادفة تمامًا، وكذا الرُّعب والفَرَق، ولا يفترق عن هذه الألفاظ سوى الرَّوْع، ويتميَّز باستعماله في معنى الدهشة أمام الجمال.

ونخلص مما سبق إلى وجود تقارب دلالي بين ألفاظ: (الخَشْيَة ـ الخوف ـ الرُّعْب ـ الرَّهْبَة ـ الرَّوْع ـ الفَرقَ ـ الفزع ـ الوَجَل)؛ حيث تشترك هذه الألفاظ في معنى: توقُّع المكروه، وانقباض النَّفْس لذلك.

وتشترك أربعة من هذه الألفاظ في ملمح الشدة، وهي (الرعب ـ الرهبة ـ الفَرَق ـ الفزع).

وتشترك ثلاثة منها في ملمح الاضطراب، وهي: (الرهبة ـ الفرق ـ الفزع).

وتتميَّز بعض هذه الألفاظ بملامح دلالية فارقة على النحو التالي: فالخشية: تمتاز بملمح العلم بموجبات الخوف، وفيها انقياد وامتثال. والرعب: يمتاز بملمح الهيبة الناشئة عن أمر خارق للمألوف. والرهبة: تمتاز بملمح الاضطراب والضعف معًا. والروع: يصحبه إنكار وقلق. والفَرَق: فيه جبن واضطراب معًا. والوجل: فيه سكون ظاهري.

(١) ينظر: البحر المحيط (٥/٢٧٠).

المبحث الأول
فزع الملائكة

قال – تعالى– : ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣ ﴾ [سبأ: ٢٣].

جاء في تفسير ابن كثير – رحمه الله – : (وهذا أيضاً مقام رفيع في العظمة، وهو أنه – تعالى– إذا تكلم بالوحي، سمع أهل السموات كلامه، أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي. قاله ابن مسعود ومسروق، وغيرهما.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ أي: زال الفزع عنها، قاله ابن عباس، وابن عمر، وغيرهما ... وقرأ بعض السلف – وجاء مرفوعاً–: {حتى إذا فرغ} بالغين المعجمة، ويرجع إلى الأول.

فإذا كان كذلك يسأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا؛ ولهذا قال: ﴿قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ ﴾ أي: أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٢٣ ﴾، وقال آخرون: بل معنى قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ يعني: المشركين عند الاحتضار، ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا، ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة، قالوا: ماذا قال ربكم؟ فقيل لهم: الحق وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين في الدنيا.

قال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾: كشف عنها الغطاء يوم القيامة.

وقال الحسن: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ يعني: ما فيها من الشك والتكذيب.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ ﴾ يعني: ما فيها من

الشك، قال: فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم وما كان يضلهم، ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ قال: وهذا في بني آدم، هذا عند الموت، أقروا حين لا ينفعهم الإقرار.

وقد اختار ابن جرير القول الأول: أن الضمير عائد على الملائكة، هذا هو الحق الذي لا مرية فيه؛ لصحة الأحاديث فيه والآثار، ولنذكر منها طرفاً يدل على غيره) ثم أورد ما رواه البخاري عن أبي هريرة (أن نبي الله ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع –هكذا بعضه فوق بعض– ووصف سفيان بيده –فحرفها وبدد بين أصابعه– فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**»[(١)][(٢)].

فالشفاعة لا تكون من أحد هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام، إلا أن الله – تعالى– يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله؛ كما قال – تعالى–: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ

(١) رواه البخاري (٤٨٠٠) (١٢٢/٦) كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي ابن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م (٥١٤/٦، ٥١٥).

﴿مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، والمعنى: أنه إذا أذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا؛ لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير، فإذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم – وهم الذين يوردون عليهم الوحي بالإذن –: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ أي: ماذا أمر الله به، فيقولون لهم : ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ وهو أنه أذن لكم في الشفاعة للمؤمنين ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ فله أن يحكم في عباده بما يريد.

ويجوز أن يكون هذا إذنا لهم في الدنيا في شفاعة أقوام، ويجوز أن يكون في الآخرة. وفي الكلام إضمار، أي: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ففزع لما ورد عليه من الإذن؛ تهيباً لكلام الله – تعالى–، حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم أجاب بالانقياد.

وقيل: هذا الفزع يكون اليوم للملائكة في كل أمر يأمر به الرب – تعالى–، أي: لا تنفع الشفاعة إلا من الملائكة الذين هم اليوم فزعون، مطيعون لله – تعالى– دون الجمادات والشياطين(١).

قال السعدي – رحمه الله – : (﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ يحتمل أن الضمير في هذا الموضع يعود إلى المشركين؛ لأنهم مذكورون في اللفظ، والقاعدة في الضمائر أن تعود إلى أقرب مذكور، ويكون المعنى: إذا كان يوم القيامة وفزع عن قلوب المشركين، أي: زال الفزع، وسئلوا حين رجعت إليهم عقولهم، عن حالهم في الدنيا، وتكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل،

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبع: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م (١٤/٢٩٥، ٢٩٦).

أنهم يقرون أن ما هم عليه من الكفر والشرك، باطل، وأن ما قال الله، وأخبرت به عنه رسله هو الحق، فبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وعلموا أن الحق لله، واعترفوا بذنوبهم.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ بذاته، فوق جميع مخلوقاته وقهره لهم، وعلو قدره، بما له من الصفات العظيمة، جليلة المقدار ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ في ذاته وصفاته، ومن علوه: أن حكمه – تعالى– يعلو، وتذعن له النفوس، حتى نفوس المتكبرين والمشركين.

وهذا المعنى أظهر، وهو الذي يدل عليه السياق، ويحتمل أن الضمير يعود إلى الملائكة، وذلك أن الله – تعالى– إذا تكلم بالوحي سمعته الملائكة، فصعقوا، وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، وإذا زال الصعق عن قلوب الملائكة وزال الفزع، فيسأل بعضهم بعضاً عن ذلك الكلام الذي صعقوا منه: ماذا قال ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: قال الحق، إما إجمالاً، لعلمهم أنه لا يقول إلا حقاً، وإما أن يقولوا: قال كذا وكذا، للكلام الذي سمعوه منه، وذلك من الحق.

فيكون المعنى على هذا: أن المشركين الذين عبدوا مع الله تلك الآلهة التي وصفنا لكم عجزها ونقصها، وعدم نفعها بوجه من الوجوه، كيف صدفوا وصرفوا عن إخلاص العبادة للرب العظيم، العلي الكبير، الذي – من عظمته وجلاله – أن الملائكة الكرام، والمقربين من الخلق، يبلغ بهم الخضوع والصعق، عند سماع كلامه هذا المبلغ، ويقرون كلهم لله، أنه لا يقول إلا الحق.

فما بال هؤلاء المشركين، استكبروا عن عبادة من هذا شأنه، وعظمة ملكه وسلطانه. فتعالى العلي الكبير، عن شرك المشركين، وإفكهم، وكذبهم)[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م (ص ٦٧٨).

كذا قال العلامة السعدي – رحمه الله – أن المراد بالفزع في الآية هو فزع المشركين، وهو قول من الأقوال، **والراجح**: أنه فزع الملائكة وهو الذي رجحه الإمام ابن جرير الطبري، وابن كثير من بعده، ودلت عليه النصوص، ولا يمنع هذا أن يفزع غيرهم، فلئن فزعت الملائكة وهم المفطورون على الطاعة، المبرؤون من العصيان، ففزع غيرهم من أهل المعصية، والذين ليسوا بمعصومين من باب أولى.

المبحث الثاني
فزع البشر، وأعراضه

أولاً: فزع البشر:

قال – تعالى–: ﴿۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ۝٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝٢٢﴾[ص: ٢١ – ٢٢].

والمعنى: هل جاءك – أيها الرسول– خبر المتخاصِمَين الذَيْن تسوَّرا على داود في مكان عبادته، فارتاع من دخولهما عليه؟ قالوا له: لا تَخَفْ، فنحن خصمان ظلم أحدنا الآخر، فاقض بيننا بالعدل، ولا تَجُرْ علينا في الحكم، وأرشِدنا إلى سواء السبيل[(١)].

ومعنى ﴿تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾: أتوه من أعلى سوره ونزلوا إليه، والسور: الحائط المرتفع، وجاء بلفظ الجمع في تسوروا مع كونهم اثنين؛ نظرا إلى ما يحتمله لفظ الخصم من الجمع[(٢)]، والمحراب: البيت المتخذ للعبادة[(٣)].

والشاهد هنا: فزع داود– عليه السلام–، وقد فزع (لأنه كان في محرابه – وهو أشرف مكان في داره – وكان قد أمر ألا يدخل عليه أحد ذلك اليوم، فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب، أي: احتاطا به يسألانه عن شأنهما)[(٤)].

---

(١) التفسير الميسر، تأليف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م (ص٤٥٤).

(٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (٤/٤٨٨).

(٣) التحرير والتنوير (٢٣/٢٣٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/٦٠).

والفزع: انقباض في النفس يحدث للإنسان عند توقع مكروه، أي: أن هؤلاء الخصوم بعد أن تسوروا المحراب، دخلوا على داود فخاف منهم، لأنهم أتوه من غير الطريق المعتاد للإتيان وهو الباب، ولأنهم أتوه في غير الوقت الذي حدده للقاء الناس وللحكم بينهم، وإنما أتوه في وقت عبادته، ومن شأن النفس البشرية أن تفزع عند ما تفاجأ بحالة كهذه الحالة(١).

قال القرطبي – رحمه الله – : (إن قيل: لم فزع داود وهو نبي، وقد قويت نفسه بالنبوة، واطمأنت بالوحي، ووثقت بما آتاه الله من المنزلة، وأظهر على يديه من الآيات، وكان من الشجاعة في غاية المكانة؟ قيل له: ذلك سبيل الأنبياء قبله، لم يأمنوا القتل والإذاية ومنهما كان يخاف، ألا ترى إلى موسى وهارون- عليهما السلام- كيف قالا: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾[طه: ٤٥]، فقال الله – عز وجل-: ﴿لَا تَخَافَآۖ﴾ [طه: ٤٦])(٢).

وأجاب ابن عاشور – رحمه الله — عن ذلك الإيراد السابق بأجوبة، منها: (أن الخوف انفعال جبلي وضعه الله في أحوال النفوس عند رؤية المكروه فلا تخلو من بوادره نفوس البشر فيعرض لها ذلك الانفعال بادئ ذي بدء ثم يطرأ عليه ثبات الشجاعة فتدفعه على النفس، ونفوس الناس متفاوتة في دوامه وانقشاعه، فأما إذا أَمَّن الله نبياً فذلك مقام آخر؛ كقوله لموسى: ﴿لَا تَخَفۡ﴾ [طه: ٦٨]، وقوله للنبي ﷺ: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾[البقرة: ١٣٧])(٣).

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، فبراير، ١٩٩٨م (١٢/١٤٥).

(٢) تفسير القرطبي (١٥/١٧٠).

(٣) التحرير والتنوير (٢٣/٢٣٣).

قال النحاس: ولا خلاف بين أهل التفسير أن المراد بالخصم هاهنا الملكان، والخصم مصدر يقع على الواحد والاثنين والجماعة[١].

وترويع المسلم حرام شديد التحريم[٢]، وقد نهى النبي ﷺ عن إدخال الرعب على أخيه المسلم بأي وسيلة، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه، حتى يدعه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»[٣].

قال النووي – رحمه الله – : (فيه تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه، والتعرض له بما قد يؤذيه، وقوله ﷺ: «وإن كان أخاه لأبيه وأمه» مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد، سواء من يتهم فيه ومن لا يتهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم لا؛ لأن ترويع المسلم حرام بكل حال، ولأنه قد يسبقه السلاح)[٤].

---

(١) فتح القدير، للشوكاني (٤/٤٨٨).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ (٦/٢١١).
وقد عدَّ بعض أهل العلم (ترويع المسلم) في الكبائر، كالإمام أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي في كتابه «الزواجر عن اقتراف الكبائر» ، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م (٢/١٥٩)، والعلامة محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي في كتابه «الكبائر» ، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ (ص١٣٧).

(٣) رواه مسلم (٢٦١٦) (٤/٢٠٢٠) كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ (١٦/١٧٠).

وعن عبد الله بن يسار، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ، أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلما**»(١).

وعقد الحافظ المنذري في كتابه «الترغيب والترهيب» باباً في الترهيب من ترويع المسلم، ومن الإشارة إليه بسلاح ونحوه، جاداً أو مازحاً، وذكر فيه عدة أحاديث أخرى، وكلها تدل على عمومية الحكم بتحريم تخويف المسلم أو ترويعه، سواء كان رفيع القدر أو مغموراً، غنياً أو فقيراً، تقياً أو فاسقاً.

كما نهى الإسلام حتى عن مجرد إفزاع المسلم للمسلم بالنظرة المرعبة التي يمكن أن يتسلل عن طريقها الخوف والفزع إلى قلبه؛ فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه بها في غير حق، أخافه الله يوم القيامة**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٢٣٠٦٤) (١٦٣/٣٨)؛ مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، وأبو داود (٥٠٠٤) (٣٠١/٤) كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح؛ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» الناشر: المكتب الإسلامي (٧٦٥٨)

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٠) (٣٢/١٣)؛ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٠٦٤) (٥٣٥/٩)؛ شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي (٥٨٦٧).

ويذهب الإسلام الحنيف في حرمة ترويع المسلم لأخيه المسلم إلى أبعد من ذلك بكثير عن طريق التحذير من إخافة وإفزاع المسلم لمجرد الدعابة والمزاح البريء، فنجد في هذا الصدد عدداً موفوراً من الأحاديث النبوية الشريفة التي تنهى عن إفزاع المسلم من قبيل الدعابة والملاطفة؛ فعن عبد الله بن السائب بن يزيد، عن أبيه، عن جده، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «**لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا، ولا جادا**»(١).

وشريعة الإسلام بلغت من الرحمة والرقي حتى إنها منعت من ترويع الحيوان – فما بالك بالإنسان – ومن ذلك شكوى الحمامة حينما رُوِّعَت في فراخها، فعن عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، ومررنا بشجرة فيها فرخا حُمَّرةٍ – طائر صغير كالعصفور–، فأخذناهما، قال: فجاءت الحمرة إلى رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ : «**من فجع هذه بفرخيها؟**» قال: فقلنا: نحن، قال: «**فردوهما**»(٢).

وكما هدف الإسلام إلى خلق المجتمع المسلم الآمن المطمئن بالنهي عن ترويع وتخويف المسلم حتى لمجرد الدعابة، فقد هدف– أيضاً– إلى أن يكون هذا المجتمع متحاباً متآلفاً، يعاضد بعضه بعضا، ولا يتأتى تحقيق هذا الهدف النبيل إلا بسعي كل مسلم إلى إدخال السرور والبهجة والفرحة إلى قلب أخيه المسلم، فقد جعل ديننا الإسلامي إدخال السرور إلى قلب المسلم من أحب الأعمال إلى الله – تعالى– بعد

(١) رواه أبو داود (٥٠٠٣) (٣٠١/٤) كتاب: الآداب، باب: من يأخذ الشيء على المزاح.

(٢) رواه الحاكم (٧٥٩٩) (٢٦٧/٤) وصححه، ووافقه الذهبي؛ المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

الفرائض؛ فعن ابن عباس- رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم**»(١).

كما جعل الإسلام إدخال السرور إلى قلب المسلم من الأعمال الصالحة التي يغفر بها الخالق – عز وجل- الذنوب، ففي الحديث عن الحسن بن علي، عن النبي ﷺ قال: «**إن من موجبات المغفرة إدخالك السرور على أخيك المسلم**»(٢).

وفي النهاية نقول: إنَّ أمن الناس وأمانهم وطمأنينتهم وراحتهم وسعادتهم من أهم الأسس والمبادئ التي نادى بها الإسلام منذ قرون طويلة، فلا خوف ولا جزع ولا رعب في الإسلام، بل رحمة ورأفة وتحاب وتآلف وتعاون على البر والتقوى، من أجل خلق الشخصية الإسلامية المتوازنة، البعيدة عن كل تعصب أحمق، وفكر منحرف يضر بأمن الأمة المسلمة، ويدفع بها إلى طريق الشقاق والخلاف والتناحر فيما بينها، ليخدم في النهاية أعداء الأمة، وصدق رب العزة جل سبحانه إذ يقول في محكم كتابه الكريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال – جل وعلا-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

إن الإسلام يقيم صرحه الشامخ على عقيدة أن الإيمان مصدر الأمان، ومن ثَمَّ فإن الإقبال على طريق الله هو الموصل إلى السكينة والطمأنينة والأمن، والإيمان الحق هو الطريق الموصل إلى حب الله والفوز بالقرب منه – تعالى-.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١٠٧٩) (٧١/١١)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (١٥٨).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٣٨) (٨٥/٣)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» (٢٠١٢).

ثانياً: أعراض الفزع وأثرها على الإنسان:

أولاً: الأعراض العضوية:

يظهر الفزع على شكل نوبات من الأعراض الجسمية المفاجئة، المصحوبة بالخوف الشديد من الموت أو فقدان الوعي أو العقل، وقد يصحبها نوبات من الدوار، وارتفاع ضغط الدم، وزيادة ضربات القلب، والتنفس السريع مع التعرق الزائد.

وتُعالج هذه الأعراض بطريقتين أساسيتين، هما:

الأولى: عن طريق الدواء، باستخدام مضادات الاكتئاب التي تعمل على زيادة مستويات مادة السيروتونين، وهذه العقاقير تعمل على ضبط عمل الجهاز العصبي المركزي المستقل بحيث لا يُستثار بنفس الحدة أو الدرجة التي تسبب الفزع.

والثانية: طريقة العلاج النفسي – الغير الدوائي –، حيث يُستخدم لعلاج حالات الرهاب المصاحب لاضطراب الفزع، ومن أشكاله: التثقيف الصحي، والعلاج السلوكي المعرفي بهدف تعديل أفكار المريض، واضطراب الفزع يمكن أن يشفى تماماً، ولكن لا ينبغي التوقف عن الدواء إلا بمشورة الطبيب المعالج.

ثانياً: أعراض انفعالية وسلوكية:

يعتبر الفزع من الأمراض التي تؤثر على الإنسان، وقد ينتج عنه الكثير من المشاكل التي تؤثر على سلوكيات الإنسان المصاب، وتضعف من قدرته على التعامل مع الواقع بشكل سليم وطبيعي، ولهذا المرض– أيضا– انعكاسات على شخصية المريض، وقد لا يتمكن من تأدية التزاماته تجاه المجتمع والآخرين، ومنها:

الأعراض الانفعالية التي تظهر على شكل غضب واكتئاب وحزن، والأعراض السلوكية التي تتمثل في اضطرابات الأكل واضطرابات النوم واضطرابات الملبس.

لذلك من الأهمية بمكان أن يسير المرء على خطة علاجية ناجحة لمواجهة اضطرابات الفزع والتغلب على ما تتركه من أعراض؛ لأنها تفوق قدرة الفرد على تحملها ولو تركت بلا علاج لسببت له معاناة مستمرة.

المبحث الثالث
علاج وتسكين الفزع

أولاً: هدي القرآن في تسكين الفزع:

إن من تأمل القرآن رأى صوراً من الخوف والفزع حصلت لعدد من أنبياء الله -تعالى- وأصفيائه، وسنعرض لتلك الصور، لنرى كيف كان هدي القرآن في تسكين ذلك الفزع، وإزالة ذلك الخوف، فمن ذلك:

ما حصل مع نبي الله إبراهيم – عليه السلام – عندما جاءته الملائكة في صور بشر، ونزلوا عليه ضيوفاً، وقرب إليهم الطعام ولم يأكلوا -لأن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون- ففزع عندها وأوجس منهم خيفة، وعندها طمأنته الملائكة أنهم رسل من الله – تعالى- إلى قوم لوط بالعذاب، وبشروه في الوقت نفسه بالولد والذرية، ويذكر القرآن ذلك في مواضع؛ منها: قوله – تعالى-: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾[هود: ٧٠ – ٧١].

فهنا طمأنت الملائكة نبي الله إبراهيم- عليه السلام-، وهكذا فعلت الملائكة لما دخلوا على نبي الله داود- عليه السلام-، في خبر المتخاصِمَين الذَيْن تسوَّرا عليه في مكان عبادته، فارتاع من دخولهما عليه؟ فقالا له: {لا تَخَفْ} ... إلخ، كما تقدم .

ومثل ذلك ما حصل مع الصدِّيقة مريم – عليها السلام – عندما فاجئها جبريل في صورة رجل ففزعت منه، وظنته يريدها عن نفسها، فقالت: إني أعوذ أيها الرجل

بالرحمن منك، أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرّمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقي محارمه، وتجتنب معاصيه؛ لأن من كان لله تقيا، فإنه يجتنب ذلك[1].

فجمعت بين الاعتصام بربها، وبين تخويفه وترهيبه، وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية، والشباب، والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر، والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء، أو يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها، وهذا أبلغ ما يكون من العفة، والبعد عن الشر وأسبابه، وهذه العفة – خصوصا مع اجتماع الدواعي، وعدم المانع – من أفضل الأعمال[2].

وعندها أزال جبريل – عليه السلام – عنها ذلك الخوف والفزع عندما أخبرها أنه رسول من عند الله – تعالى– ليهب لها غلاماً زكياً؛ قال – تعالى–: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩﴾[مريم: ١٦ – ١٩]، وهكذا كان التطمين مقترناً بالبشارة.

ولو نظرنا في قصة موسى – عليه السلام – لرأينا للخوف مواضع عديدة في حياته، ابتداء من ولادته، وعندما كان الطاغية فرعون يرسل هؤلاء الذباحين بالأشفار ليذبحوا الصغار عند الولادة : ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾

(١) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م (٤٨٧/١٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص ٤٩١).

[القصص: ٧]، نهى- سبحانه- عن الخوف وعن الحزن، نهيان بعد أمرين: أرضيعه وألقيه، كما بشر أم موسى – عليه السلام – ببشارتين: ﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ سليماً لتقر عينك به، ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧ ﴾ ليكون نبياً لله – تعالى-، فأزال الله- سبحانه- عن أم موسى كل خوف.

ولما خرج موسى – عليه السلام – من مدين بعد قتل ذلك القبطي، خرج وهو خائف يترقب، أي: يتلفت خشية أن يدركه القوم فيقتلوه، وجعل يلجأ إلى الله – تعالى- أن ينجيه من القوم الظالمين، قال – تعالى-: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢١ ﴾[القصص: ٢٠ – ٢١].

فمن كان يشعر بالخوف والفزع فعليه باللجوء إلى الله – تعالى-، والثقة به، والتوكل عليه، وليكثر من الدعاء، خصوصاً الدعاء المأثور لطرد الفزع والخوف، والذي ورد عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع: «**بسم الله، أعوذ بكلمات الله التامة، من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون**»(١).

فنجاه الله – تعالى- وآمنه وآواه، من خلال صاحب مدين الذي طمأنه أول ما وصل إليه طريداً، خائفاً، حافياً، جائعاً، فقال له لما قص عليه قصته: ﴿ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥﴾ [القصص: ٢٥]؛ هدئ من روعك فقد نجاك الله منهم، ووصلت هنا ولا سلطان لهم علينا.

وازدادت طمأنينته حينما أرشده الله – تعالى- لما يفعله أمام فرعون، وذلك في قوله – تعالى-: ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ

(١) رواه أحمد (٦٦٩٦) (٢٩٦/١١) وقال محققو المسند: «حديث محتمل للتحسين».

﴿إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [القصص: ٣٢]، فأُمِرَ عليه السلام، إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب، وهي يده، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف، وربما إذا استعمل أحد ذلك على سبيل الاقتداء فوضع يديه على فؤاده، فإنه يزول عنه ما يجد أو يخف، إن شاء الله، وبه الثقة[1].

و(عن ابن عباس- رضي الله عنهما-: أمره الله أن يضم يده إلى صدره فيذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية، وقال: ما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه. قال مجاهد: كل من فزع فضم جناحيه إليه ذهب عنه الفزع. وقيل: المراد من ضم الجناح: السكون، أي: سكن روعك واخفض عليك جانبك، لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه، ومثله قوله: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤]، يريد الرفق، وقوله: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، أي: ارفق بهم وألن جانبك لهم)[2].

ونستأنس من قول الإمام ابن كثير والإمام البغوي ما عليه واقع الناس عند نزول الفزع، فإن الفزع مباشرة يضم يديه إلى صدره.

ومن مواطن الخوف في حياة نبي الله موسى، لما فر مع أتباعه من بني إسرائيل هرباً من بطش فرعون، واعترضهم البحر، وقال من معه: إنا لمدركون، فأصحابه ومن معه من بني إسرائيل كانوا في أشد الخوف، بينما موسى - عليه السلام - أجابهم إجابة الواثق بنصر ربه له، ونجاتهم بإذن الله - تعالى- من بطش فرعون، قال: كلا، إن معي

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/٢٣٥).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ (٣/٥٣٤).

ربي سيهدين، وفعلاً جاء الفرج وجاءت النجاة من عند الله – تعالى– لموسى ومن معه، والهلاك لفرعون وجنوده، وفي ذلك يقول الله – تعالى–: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٦١ – ٦٦].

ومن مواطن الخوف في حياة موسى– عليه السلام–: خوفه من العصى عندما انقلبت معجزة له إلى حية، قال الله – تعالى– لموسى – عليه السلام – لما نبأه بالرسالة في الوادي المبارك عند الشجرة: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [طه: ١٧ – ٢١]، تأمل قوله – تعالى–: ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ نهاه عن الخوف، وأخبره بأن الحية ستعود عصى كما كانت في وضعها الأول، فلتأمن يا موسى ولا تخف، وهكذا ينزع الله الخوف من نفس نبيه موسى عليه السلام.

ولما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم حتى خيّل للناس سحر التخييل، وظهر لهم ولموسى معهم أنها أفاعي، خاف موسى – عليه السلام – أن يكفر الناس، فنهاه الله – تعالى– عن الخوف وأخبره بأنه الأعلى والمنتصر، وأن العاقبة له، قال – تعالى–: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه: ٦٧ –

٦٩]، فهذا نهي عن الخوف مع بيان علو المنزلة والمكانة لنبيه موسى، ﴿ لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ فأنت مؤيد وأنت الأعلى بالإيمان، وأنت الأعلى بمعية الرحمن، وأنت الأعلى بما أيدك الله به من المعجزات.

وقال – عز وجل– لما ولى موسى مدبراً ولم يعقب في قصة إرساله بالوادي المقدس: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ ﴾ [النمل: ١٠]؛ لأن جميع المخاوف مندرجة في قضائه وقدره وتصريفه وأمره، فالذين اختصهم الله برسالته واصطفاهم لوحيه لا ينبغي لهم أن يخافوا غير الله خصوصا عند زيادة القرب منه والحظوة بتكليمه(١).

ومن منة الله علينا أن جعل لنا سكناً نفسياً في البيت، والليل، والزوجة، وقص الله علينا من قصص الأنبياء ما يهدئ مخاوفنا، ويسكن فزعنا، ويطمئن نفوسنا، وهكذا وجدنا معية الله، وتأييده، والبشارة بالخير مما يسكن النفوس، وقد قال النبي ﷺ لابن عباس– رضي الله عنهما–: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»(٢).

وأيضاً: نجد هذا التطمين مقترناً بمعية الله: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ

(١) تفسير السعدي (ص٦٠٠)

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٦) (٦٦٧/٤) في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠].

ولما وصل موسى إلى مدين طريداً، وحيداً، حافياً، خائفاً، جائعاً، قال له الرجل الصالح: ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٥]، والله- سبحانه وتعالى- قال للصحابة الكرام: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

ثانياً: أمورٌ تعالج الفزع، وتساعد في تسكينه وإزالته:

هناك أمور وعوامل تعالج الفزع، وتساعد في تسكينه وإزالته، ومن أبرز هذه الأمور:

١- تقوى الله - تعالى-: فتقوى الله - تعالى-، والحرص على العبادات المفروضة من صلاة وصيام وزكاة وحج، عبارة عن تربية للنفس، وعلاج للمخاوف، تزيد قلب المؤمن أمنا وطمأنينة، إذ تقربه من ربه - جل وعلا-، فيشعر بالأنس والراحة وخاصة السجود، فهو يمثل خلوة ومناجاة تستريح فيها القلوب، وتلقي أثقالها بين يدي علام الغيوب، وتستمد قوتها منه سبحانه، فتستصغر ما لاقت وما تلاقي من فزع وهم وحزن؛ قال - تعالى-: ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٥].

بل أن هناك صلاة شرعت عند الخوف، تهدئ الفزع، وتسكن النفس، وكان- عليه الصلاة والسلام- إذا حزبه أمر صلَّى، وإذا صار أمام العدو، وخشي المسلمون إذا أدوا الصلاة أن يفاجئهم العدو، فشرعت لهم صلاة على هيئة وكيفية مختلفة عن العادة، قال - تعالى- في صلاة الخوف: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ

وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٠٢]، فالصلاة مما يسكن القلب، ويذهب الفزع، ويطرد القلق، ويثبت النفس.

٢- ذكر الله - تعالى-: فذكر الله من أعظم ما يطمئن النفوس، ويذهب المخاوف، قال - تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨]، ولا شيء أنفع للخائف من ذكر ربه - سبحانه وتعالى-، بقراءة للقرآن، وتسبيح، وتهليل، وتكبير، وحوقلة، واستغفار، وصلاة على نبينا محمد ﷺ، فللذكر أثر عظيم في اطمئنان النفس، وكثرة الثناء على الله، وفي نهاية الآية الواردة بشأن صلاة الخوف، أمر الله - تعالى- بذكره؛ قال- تعالى-: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ ﴾ [النساء: ١٠٣]، فذكر الله - عز وجل- يسكن القلب القلق، ويطمئن النفس الخائفة، وذكر الله تصبير وتثبيت.

ومن فوائد حلق الذكر أن السكينة تنزل عليها وعلى الذاكرين فيها، فعن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يقعد قوم يذكرون الله - عز وجل- إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[(١)].

(١) رواه مسلم (٢٧٠٠) (٤/٢٠٧٤) كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

٣- الدعاء مع الثقة بالله – تعالى-: مما يسكن الفزع ويطمئن قلب المؤمن الثقة المطلقة بالله وحده، ودعاؤه واللجوء إليه في كل شأن، فهو معه أينما كان، قال – تعالى-: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤]، والله قريب من عبده المؤمن، قال – جل وعلا-: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فلا بد من الرجوع إلى الله والإنابة إليه، والتوكل عليه، والتضرع إليه؛ لأن الفزع الذي يحصل للإنسان من أشد حالات الضعف التي تعصف به، وهي من أقوى مداخل الشيطان عليه، فليس له إلا اللجوء إلى الله والتضرع له وحده، وفي ذلك فوائد عظيمة أهمها الطمأنينة والسكينة.

٤- قراءة آيات السكينة:

قال ابن القيم في المدارج: (وقد ذكر الله -سبحانه- السكينة في كتابه في ستة مواضع.

الأول: قوله – تعالى-: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

الثاني: قوله – تعالى-: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦].

الثالث: قوله – تعالى-: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة: ٤٠].

الخامس: قوله – تعالى-: ﴿ * لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الفتح: ١٨].

السادس: قوله – تعالى–: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٦].

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه، تعجز العقول عن حملها – من محاربة أرواح شيطانية، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة – قال: «فلما اشتد علي الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرءوا آيات السكينة»، قال: «ثم أقلع عني ذلك الحال، وجلست وما بي قلبة»، وقد جربت أنا– أيضا– قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد عليه، فرأيت لها تأثيراً عظيماً في سكونه وطمأنينته.

وأصل السكينة هي الطمأنينة والوقار، والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده، عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات، ولهذا أخبر سبحانه عن إنزالها على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب)[1].

٥– إشاعة السكينة والأمن بين الناس، والبعد عن بث ما يثير القلق والفزع:

فالنبي ﷺ كان حريصاً على إذهاب الخوف، وتسكين الفزع، وتطمين الخائف؛ ولذلك لما دخل الصدِّيق معه الغار، وصار الكفار فوقهم، حتى لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآهما، فخاف الصديق على النبي ﷺ قبل أن يخاف على نفسه، وفزع أن يراهما الكفار، فقال– عليه الصلاة والسلام– مطمئناً له: (**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**)[2]،

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م (٢/٤٧٠، ٤٧١).

(٢) رواه البخاري (٤٦٦٣) (٦/٦٦) كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠]، ومسلم (٢٣٨١) (٤/١٨٥٤) كتاب: فضائل الصحابة

والله – عز وجل– قال لنبيه ﷺ في كتابه يتلو عليه تلك القصة: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[التوبة: ٤٠].

فينبغي على المسلم أن يكون على علم وحكمة وبصيرة، وأن يكون له اتصال وثيق بكتاب ربه – عز وجل–؛ لأن الاعتصام بالكتاب طمأنينة عظيمة، وكذلك يلتزم بما أمر الله به، من الصدق والتحري وإشاعة الأمن والسكينة بين الناس، فلا يبث الشائعات ولا ينقلها، ولا يثير فزعاً وبلبلة برسائل الجوالات، وإنما يحافظ على سكينته، وعلى طمأنينة إخوانه وبلده، قال – تعالى– : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣].

ويتضح مما سبق كله: أن في اتباع تعاليم الإسلام طريقا لعلاج الفزع والتخلص من آثاره، ولا يعارض ذلك طلب العلاج اللازم من المختصين؛ لأن طلب العلاج من حسن التوكل على الله؛ لأنه أخذ بالأسباب، وهو ما أمرنا الله به.

رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، من حديث أبي بكر ﷺ، قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».

المبحث الرابع
الفزع في الآخرة

ورد ذكر الفزع في القرآن الكريم في ست مواضع، منها أربعة مواضع استعمل فيها الفزع في سياق وصف أهوال يوم القيامة، وهي أهوال تفوق ما نعرفه من أهوال الدنيا، ولا شكَّ أن الخوف الذي يعتري النفوس يومئذٍ أشدُّ وأمكن في القلوب من كل خوف في الدنيا؛ قال – تعالى–: ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، أي: لا يقلقهم إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين فيفزع الناس لذلك الأمر وهؤلاء لا يحزنهم، لعلمهم بما يقدمون عليه وأن الله قد أمنهم مما يخافون ﴿ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ إذا بعثوا من قبورهم، وأتوا على النجائب[1] وفدا، لنشورهم، مهنئين لهم قائلين: ﴿ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾ فليهنكم ما وعدكم الله، وليعظم استبشاركم، بما أمامكم من الكرامة، وليكثر فرحكم وسروركم، بما أمنكم الله من المخاوف والمكاره[2].

وقال – جل وعلا–: ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ٨٧ ﴾ [النمل: ٨٧].

وهذه السياقات القرآنية للفزع قرينة على أنه يستعمل في أشدِّ مواطن الخوف، وما فارق المألوف والمعتاد من الأحداث والانفعالات المضطربة المصاحبة لها؛ فالفزع إذن: أشدُّ الخوف، وفيه مفاجأة، ويصحبه اضطراب ظاهر في المواقف غير المعتادة.

---

(١) النجائب: خيار الإبل .

(٢) تفسير السعدي (ص٥٣١).

قال الإمام القرطبي –رحمه الله– في قوله- تعالى-:﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾: (قرأ أبو جعفر وابن محيصن {لا يُحزِنهم} بضم الياء وكسر الزاي، الباقون بفتح الياء وضم الزاي. قال اليزيدي: حزنه لغة قريش، وأحزنه لغة تميم، وقد قرئ بهما. والفزع الأكبر أهوال يوم القيامة والبعث، عن ابن عباس. وقال الحسن: هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار. وقال ابن جريج وسعيد بن جبير والضحاك: هو إذا أطبقت النار على أهلها، وذبح الموت بين الجنة والنار)[1].

قال ابن عاشور – رحمه الله – : (والفزع: نفرة النفس وانقباضها مما تتوقع أن يحصل لها من الألم وهو قريب من الجزع. والمراد به هنا فزع الحشر حين لا يعرف أحد ما سيؤول إليه أمره، فيكونون في أمن من ذلك بطمأنة الملائكة إياهم، وذلك مفاد قوله – تعالى-: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، فهؤلاء الذين سبقت لهم الحسنى هم المراد من الاستثناء في قوله – تعالى-: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٨٧]، والتلقي: التعرض للشيء عند حلوله تعرض كرامة. والصيغة تشعر بتكلف لقائه وهو تكلف تهيؤ واستعداد)[2].

يخبر – تعالى- عن هول يوم نفخة الفزع في الصور، وهو قرن يُنفخ فيه، وفي حديث (الصور) أن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر الله – تعالى-، فينفخ فيه أولاً نفخة الفزع ويطولها، وذلك في آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء، فيفزع من في السموات ومن في الأرض ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾، وهم الشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يرزقون.

(١) تفسير القرطبي (١١/٣٤٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٧/١٥٧).

فهذه نفخة الفزع، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين، وهو النشور من القبور لجميع الخلائق؛ ولهذا قال: ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]- قرئ بالمد ، وبغيره على الفعل، وكل بمعنى واحد - و﴿ دَاخِرِينَ﴾ أي: صاغرين مطيعين، لا يتخلف أحد عن أمره، ﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩]، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] ، وقال: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال : ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ: ٣٧][1].

وقوله - تعالى-: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ أي: واذكر يوم...، أو: ذكرهم يوم ينفخ في الصور، ومذهب الفراء أن المعنى: وذلكم يوم ينفخ في الصور، وأجاز فيه الحذف، والصحيح في الصور أنه قرن من نور ينفخ فيه إسرافيل، قال مجاهد: كهيئة البوق، وقيل: هو البوق بلغة أهل اليمن، ... ﴿ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ ﴾، والصحيح في النفخ في الصور أنهما نفختان، وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لا زمان لهما، أي فزعوا فزعاً ماتوا منه، أو إلى نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره، فإنه قال في كلامه على هذه الآية: والمراد النفخة الثانية أي يحيون فزعين يقولون: ﴿ مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ [يس: ٥٢]، ويعاينون من الأمور ما يهولهم ويفزعهم، وهذا النفخ كصوت البوق لتجتمع الخلق في أرض الجزاء. قاله قتادة. وقال الماوردي: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ﴾ هو يوم النشور من القبور، قال وفي هذا الفزع قولان: أحدهما: أنه الإسراع والإجابة

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/٢١٦).

إلى النداء من قولهم: فزعت إليك في كذا إذا أسرعت إلى ندائك في معونتك، والقول الثاني: إن الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحزن؛ لأنهم أزعجوا من قبورهم وخافوا. وهذا أشبه القولين(١).

فأهل الإيمان والطاعة من عباد الله لا يفزعون عندما يفزع الناس، ولا يحزنون عندما يحزن الناس، أولئك هم أولياء الرحمن الذين آمنوا بالله وعملوا بطاعته؛ استعدادا لذلك اليوم، فيؤمنهم الله في ذلك اليوم، وعندما يبعثون من القبور تستقبلهم ملائكة الرحمن تهدئ من روعهم، وتطمئن قلوبهم، والفزع الأكبر هو ما يصيب العباد عندما يبعثون من القبور، ففي ذلك اليوم ينادي منادي الرحمن أولياء الرحمن مطمئناً لهم ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٨]، وقال في موضع آخر: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

والسر في هذا الأمن الذي يشمل الله به عباده الأتقياء، أن قلوبهم كانت في الدنيا عامرة بمخافة الله فقاموا ليلهم، وصاموا نهارهم ، واستعدوا للوقوف بين يدي الله في يوم الفزع، فقد حكى الله عنهم في كتابه أنهم كانوا يقولون: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴾ [الإنسان: ١٠]، ومن كان حاله كذلك فإن الله يقيه من شر ذلك اليوم ويؤمنه ﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾ ﴾ [الإنسان: ١١ – ١٢].

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٣/٢٣٩- ٢٤٠).

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ يروي عن ربه – جل وعلا–، قال: «**وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة**»(١).

وكلما كان العبد أكثر إخلاصاً لربه – تبارك وتعالى– كان أكثر أمناً يوم القيامة، فالموحدون الذين لم يلبسوا إيمانهم بشيء من الشرك، لهم الأمن التام يوم القيامة، يدلك على هذا جواب إبراهيم – عليه السلام – لقومه عندما خوفوه بأصنامهم، فأجابهم قائلاً: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨١ – ٨٢].

وقال – جل وعلا– أيضاً : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [سبأ: ٥١]، والمعنى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ ﴾ أيها الرسول، ومن قام مقامك، حال هؤلاء المكذبين، ﴿ إِذْ فَزِعُوا۟ ﴾ حين رأوا العذاب، وما أخبرتهم به الرسل، وما كذبوا به، لرأيت أمراً هائلاً ومنظراً فظيعاً، وحالة منكرة، وشدة شديدة، وذلك حين يحق عليهم العذاب، فليس لهم عنه مهرب ولا فوت ﴿ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ أي: ليس بعيدا عن محل العذاب، بل يؤخذون، ثم يقذفون في النار(٢).

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٦٤٠) (٢/٤٠٦) من حديث أبي هريرة ﷺ؛ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «إسناده حسن».

(٢) ينظر: تفسير السعدي (ص٦٨٣).

قال الإمام البغوي – رحمه الله – : (﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ ﴾ قال قتادة: عند البعث حين يخرجون من قبورهم، ﴿ فَلَا فَوْتَ﴾ أي: فلا يفوتونني، كما قال: ﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ ﴾[ص: ٣] ، وقيل: إذ فزعوا عند الموت فلا فوت ولا نجاة، ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ، قال الكلبي: من تحت أقدامهم، وقيل: أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها، وحيثما كانوا فهم من الله قريب، لا يفوتونه، وقيل: من مكان قريب يعني: عذاب الدنيا. وقال الضحاك: يوم بدر. وقال ابن أبزى: خسف بالبيداء، وفي الآية حذف تقديره: ولو ترى إذ فزعوا لرأيت أمرا تعتبر به)[(١)].

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : (يقول – تعالى–: ولو ترى –يا محمد– إذ فزع هؤلاء المكذبون يوم القيامة، ﴿ فَلَا فَوْتَ ﴾ أي: فلا مفر لهم، ولا وزر ولا ملجأ ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: لم يكونوا يمنعون في الهرب، بل أخذوا من أول وهلة، قال الحسن البصري: حين خرجوا من قبورهم.

وقال مجاهد، وعطية العوفي، وقتادة: من تحت أقدامهم.

وعن ابن عباس والضحاك: يعني: عذابهم في الدنيا.

وقال عبد الرحمن بن زيد: يعني: قتلهم يوم بدر.

والصحيح: أن المراد بذلك يوم القيامة، وهو الطامة العظمى، وإن كان ما ذكر متصلا بذلك)[(٢)].

ولا شك أن هناك فرقاً في الخوف والفزع بين أهل الطاعة والإيمان، وأهل المعصية والكفران، فأهل الطاعة يخافون من هول يوم القيامة، ويفزعون مما يرونه في ذلك اليوم

(١) تفسير البغوي (٦٨٦/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٢٨/٦).

من تبدل الأحوال، ودنو الشمس من الرؤوس، واجتماع الخلائق للحساب، والصراط والميزان ... إلخ.

وأما خوف الكفار وفزعهم يومئذ، فأسباب ذلك جلية، وواضحة، وهي أنهم – إضافة إلى هول الموقف، ورهبته، وفظاعته– يعلمون أنهم فرطوا في جنب الله – تعالى–، فلم يمتثلوا ما أمرهم به، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه، وقد جاء ما كانوا يكذبون به، وينكرونه من بعث، ونشور، وجنة، ونار، ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، و﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

فأصبح عذابهم، وهلاكهم عين اليقين، فكان حالهم عندها كما حكاه الله – جل وعلا–: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ١١ – ١٤].

فهم – إذن – في خوف شديد من عذاب الله الذي أصبح ماثلاً بين أيديهم، يرونه رأي العين، ولم يعد – كما كان في الدنيا – أمرا غيبيا يخبرون به فيكذبون، ويعرضون.

ويزيد من خوفهم، وحسرتهم أنه ليس في مقدورهم إنكار أي شيء؛ لأن أفعالهم كلها مكتوبة، وجوارحهم شاهدة عليهم؛ قال – تعالى–: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال– سبحانه–: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يس: ٦٥]، وقال – جل وعلا–: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ

أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النور: ٢٤ – ٢٥].

نسأل الله لنا، ولجميع المسلمين السلامة والعافية، وأن يجعلنا من الناجين: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾[الشعراء: ٨٨ – ٨٩]، وقال – تعالى- في موضع آخر: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس: ٦٢– ٦٤].

والسر في هذا الأمن الذي يشمل الله به عباده الأتقياء أن قلوبهم كانت في الدنيا عامرة بمخافة الله، والإيمان به، والمراقبة له، فقاموا ليلهم، وصاموا نهارهم، واستعدوا ليوم الوقوف بين يدي الله، وقد تقدم بيان ذلك والتدليل عليه بما يغني عن إعادته وتكراره هنا.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، ألخص أهم نتائجه وبعض التوصيات، على النحو التالي:

أولاً: أهم النتائج:

١. الحكم بين الناس أفضل من العبادات الخاصة؛ لأن نفعه متعد والعبادات الخاصة نفعها قاصر.

٢. إن الأنبياء يلحقهم من الطبائع البشرية ما يلحق غيرهم؛ لقوله-تعالى-: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ [ص: ٢٢]، وقوله - جل وعلا-: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ [النمل: ١٠]، وغيرها من آيات.

٣. الدنيا دار ابتلاء ولا تخلو من مفاجآت تحمل في طياتها الفزع الشديد، ولكن المؤمن يعلق قلبه بالله ويؤمن بقضائه وقدره.

٤. إثبات القلوب للملائكة وأنهم يخافون الله - جل وعلا-.

٥. إن للعبادات في الإسلام شأناً عظيماً في تسكين الفزع وإشاعة الطمأنينة في النفس.

٦. إخلاص العبادة لله، وكمال توحيده والإيمان به، يضمن للعبد الأمن التام من الفزع يوم القيامة.

ثانياً: التوصيات:

١. الالتزام بالاستئذان الذي شرع لنا؛ لما فيه من إزالة الفزع وإدخال الأنس على القلوب.

٢. ينبغي أن يُطمئن المفزِع مَن فَزِعَ منه بنفي سبب الفزع، كما قال الملكان ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢].

٣. لزوم تقوى الله – تعالى– في كل حال، والحرص على العبادات المفروضة؛ ليزداد القلب أمناً وطمأنينة.

٤. البعد عن إشاعة ما يثير القلق والفزع في المجتمعات.

٥. ينبغي للمؤمن أن يعلق قلبه بالله – تعالى– ويؤمن بقضائه وقدره، فإن هذا مما يزيده طمأنينة وسكينة ورضا.

فهرس المصادر والمراجع

١- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢- **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت .

٣- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٤- **التحرير والتنوير** = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، ١٩٨٤م، ط الدار التونسية للنشر، تونس.

٥- **تفسير الطبري** = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٦- **تفسير القرآن العظيم** = تفسير ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧- **التفسير الميسر**، تأليف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٨- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، فبراير، ١٩٩٨م.

٩- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٠- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.

١١- **الجامع لأحكام القرآن** = تفسير القرطبي، للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، طبع: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٢- **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٣- **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

١٤- **شعب الإيمان**، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٥- **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، الناشر: المكتب الإسلامي، بدون بيانات.

١٦- **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

١٧- **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٨- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي ثم المناوي القاهري، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ .

١٩- **الكبائر**، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ .

٢٠- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ .

٢١- **لسان العرب**، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، ابن منظور، دار صادر، بيروت بدون طبعة وبدون تاريخ .

٢٢- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٢٣- **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٤- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٢٥- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ = صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٦- **معالم التنزيل في تفسير القرآن** = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٧- **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

٢٨- **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، أحمد بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، دار الجيل، بيروت.

٢٩- **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢هـ.

٣٠- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج** ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ .

٣١- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.